

قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث

. @ 154 @

() ولنوجع إلى الوضاع ، فمنهم زنادقة قصدوا إفساد الشريعة والتلاعب بالدين ، () يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره) (فعملوا على لبس الحق بالباطل ، وخلط اسم بالترياق ، وهيات لهم الفرص في الأزمان الغابرة مجالاً فسيحاً لهذا البهتان ، حتى شحنوا الأذهان ، وسودوا الدفاتر ، وأفعموا الكتب بمفتريات () ما أنزل الله بها من سلطان () . وقد سرى هذا الداء في كتب التفسير والسير والتاريخ ، وتلققتها العامة عن سلامة صدر ، إما لشهرة المعزو إليه ، أو لاستبعاد كذبه على الرسول ؛ فخطبوا وحادوا عن الجادة : () وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا () . .

ثم قال : () ولست أعجب من العامة وصنعهم هذا ، ولكن العجب العجيب ، من أهل العلم الذين يرون هذا المنكر رأى العين صباحاً ومساءً ، ويتأولون لهن كأنما أعمال هؤلاء السوقية وحي سماوي متشابه ، يجذب تأويله في رأى العلماء المتأخرين ! ! اللهم ألهمنا السداد ، ووفقنا إلى سبيل الرشاد ! .

() والداهية الدهياء ، أن الناس الآن ، أخذت تروي الأحاديث من غير إجازة ولا تلقين ، وحول العلماء وجهتهم إلى فروع الفقه ، وآلات التفسير والتوحيد ، وانصرفوا عن الحديث ، إلا ما كان منه قراءة على سيل التبرك ! فراجت سوق الأراجيف المعزوة للدين ، واختلط الباطل بالحق ، فمهدوا بهذا للطاغين على الدين سبلاً كان عذراء ، وخططا كانت وعشاء ، فلا تكاد ترى حماراً أو حوزياً أو خادماً أو طاهياً أو أكاراً أو قصاراً أو كناساً أو رشاشاً إلا وهو يستشهد في كل عمل من أعماله بالحديث ، سواء صح معناه ولفظه أم لم يصح . فإذا جلست في مرتاض أو ناد أو سوق أو حانوت أو حفل عرس أو مأتم ، سمعت من خلطهم وخبطهم في الدين ، ما تخرج لأجله النفوس من العيون ، وتمشى له القلوب في الصدور . وربما كان في مجلسهم عالم ، فيسأل عند اختلافهم ، فلا يجيب إلا () (بأطن كذا !) () (ويمكن أن يكون كذا !) (والورع يقول : () لا أدري !) () أو () حتى أراجع